حُبُّ الحَياة في الشعر الجَاهليّ سَلام

أ.م.د. علاء جاسم جابر
كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

الرغبةُ في البقاء، غريزةٌ حيوية فطرية، وهكذا جُبِل البشر- عموماً- فليس بِدعاً القول: إنَّ الإنسان الجاهليذ، كان مُحبّاً للحياة، ساعياً الى البقاء فيها ما وسعه ذلك. وما ملحمة "جِلجامش" إلاّ أُنموذجٌ للصراع الحثيث؛ لتحقيق هذه الإرادة المتأصلة في الإنسان، ألا وهي الطُّموحُ الأزليُّ نحو الخُلود.

وفي الشعر الجاهلي، نجد صوراً متعددة- واقعيةً وفكرية- عبَّر بها الجاهلي، عن هذا الميل الفِطريّ للتشبث بالحياة..

منها أنهم كانوا يَجهدون- بكل السُّبل- من أجل وأدِ أي سبب يُمكن أن يؤدي الى وقوع الحرب- أصلاً- التي هي العدوّ الاول للسلام، ومِن ثَمَّ فهي التي تهدد حياتهم. ثم هم يَنعَون على من يحاول إشعال فتيل الفتنة والخصام وهم يُشنِّعون على الغادر، لأن الغدر- فضلاً عن كونه صفة ذميمة؛ تأباها سجية العربي- يؤدي الى زرع الضغائن والأحقاد، ثم يتبعه الثأر الذي قد يتوسّع ويجرُّ الويلات. وكذلك كان منهم من يفرُّ من المعركة؛ إذا ما وجد فرصة مواتية لإنقاذ حياته. فضلاً عن أنهم كانوا يُثنون الثناء الحسن على من يُطلق سراح الأسرى، وأكثر من ذلك يُشيدون بالسادات والعقلاء، الذين يُخمدون نار الحرب أو يُصلحون ويزرعون السلام.

من اشهر المعارك التي دارت رَحاها في جزيرة العرب، حربُ البَسوس؛ التي بدأها جسّاس الذُّهلي البكري؛ بقتل كُليب بن ربيعة التغلبي..

كان المُهلهل، عائداً من اليمن، فمرَّ بقبر أخيه كليب؛ فثارت شجونهُ، قائلاً: (من الهزج)

بـــــدأ تُـــــمْ قَـــــومَكمْ بِالغَـــــدْ رِ والعُـــــــدوانِ والقَتْـــــــلِ
لقـــــد جِئْـــــتمُ بهـــــا دَهْمَـــــا ءَ كالحيَّـــــةِ فـــــي الجَـــــذْلِ[١]
وقـــــد كُنـــــتُ أخَـــــا لَهـــــوٍ فأَصـــــبحتُ أخَـــــا شُـــــغلِ
وقـــــد أســـــبأُ للنُّـــــدمانِ بِالناقـــــةِ والرَّحـــــلِ[٢]

فهو يخاطب البكريين؛ على أنهم قومه، لكنه- يُحمِّلُهم جريرة البدء بالعدوان والغدر بقتل كليب، وهذا الفعلُ شنيع قبيح؛ أدَّى الى تفرُّق الحيين الوائليين. ثم يذكر كيف كان يعيش حياته مطمئناً لاهياً؛ يجتمع مع نُدمانه، وينحرُ لهم ويسقيهم، متمتعين بحياتهم الرغيدة، ثم أصبح مشغولاً مهموماً بفقد أخيه. حصل ذلك كلُّهُ بسبب جسّاس الذهلي؛ الذي أحرق خضرة حياة البكريين كفعله في التغلبيين، لذا يعاودُ الشاعرُ خطابَ رهط جَسّاس: (من الرمل)

يـــاَ بَنـــي ذَهْـــلٍ لقـــد هَيَّجـــتُمُ لِبَنـــي بَكـــرٍ، حروبـــاً كـــالحريقْ
وبَعثـــتُمْ غـــارةً فـــي جـــاركمْ ذاتَ أفنـــانٍ وريـــحٍ وبَريـــقْ[٣]

فكما يذمُّ الغدرَ والقتلَ، يذمُّ جُناةَ الحرب. وهكذا كان جُلّ العرب مسالمين، أو أنّ الرأيَ العام فيهم، مع السلام.

وإن كان منهم، من يشذُّ- كما في كل المجتمعات - فقد أغار أحدُهم على ناحية من طرف الشام، فقال النابغة مُؤنِّباً: (من البسيط)

أمَـا لَعَمـريْ لِقد أهدى أبـو حُمُـقٍ إلـى كِنانـةَ شَـرًّا غيـرَ مُنصـرِمِ[٤]
جَرّبتَ أبيضَ يُستسَقى الغمامُ بـهِ مِن آلِ جَفنةَ؛ في عِزٍّ وفي كَرَمِ[٤]

إذن هذا عدوان، يجب الوقوف بوجهه وتجريم فاعله. وفي الوقت الذي يقف فيه الشاعر- وهو لسان المجتمع- مع الطرف المعتدى عليه؛ فيعطيَهم ما يستحقون من جميل الصفات، يُكنِّي المعتدي بالحُمق؛ ليجعلها لصيقةً به؛ نَكالاً على فعلته الرعناء، كما قد ألحق بقبيلته الشرَّ والغمَّ.

تَقاتلَ بنو سُليم وبنو ذُبيان، وكان بنو رِعْل الى جانب سُليم؛ فهَزموا ذبيان، وأراد السّلَميون أن يتبَعوهم فمنعهم بنو رِعل، فقام شاعرُ الذبيانيين

يشكرهم، على موقفهم السليم: (من الطويل)

فِدىً لِبني حَيٍّ ابن رِعلٍ حَمولَتي غَداةَ قُتادٍ، أو فِدىً لَهمُ أهلي[٦]
وأُنبِئتُهمْ أبقَوا؛ على الأصلِ، إذ عَلَوا على أنَّهمْ قِدماً مَباقٍ على الأصلِ[٧]

فإذا ما وقعت الحرب- وهي كُرهٌ لهم- ففي الأقل، يحاولون تطويقها؛ لتقليل الخسائر والأضرار، وتخفيف وطأة الآثار؛ تمهيداً لعودة الصفاء والوئام.

وهذا رجلٌ من بني الحارث بن فِهر، يمدحُ قوماً؛ لأنهم لم ينساقوا لإراقة الدماء: (من الكامل)

للهِ دَرُّ بَني عليٍّ إنّهُمْ لم يُحمِشوا غَزواً كَوَلغِ الذّيبِ[٨]

فهذا الثناءُ السامي، على هؤلاء، هو موقفٌ سلمي يناسب الظرفَ الموضوعي.

وفي المقابل نراهم يَشنُّون الهجوم العنيف، على من يغدر أو يخون، بعدِّهما عارَينِ يناقضان المبادئ السامية والعُرفَ السائد. يقول حربُ بنُ جابرٍ الحنفيُّ: (من الطويل)

رأَيتُ أبَا القَيَّارِ، لِلغَدرِ آلِفاً ولِلجارِ وابنِ العَمِّ، جَمّاً غَوائلُهْ
وإنَّ أبَا القَيّارِ، كالذئبِ؛ إنْ رأى بِصاحبِهِ يوماً دماً، فَهْوَ آكلُهْ[٩]

ان هذا التقريع الشديد، كان لشجب هذا الرجل؛ المنحرف عن جادة المجتمع، وكأنما فقدَ صوابه وإنسانيته؛ فهبط إلى مستوى حيوان وحشي ضار، وما تكرار اسمه إلاّ لتوكيد ذَمِّه وفضح عمله، الذي يُشكِّل خطراً على حياةِ الناس وأمنهم. إذ إنَّ الدِّماءَ مُحترمةٌ مصانةٌ؛ لا تجوزُ إراقتها من دون حقٍّ، وإلاّ فهي حرام، كما يقول أوسُ بن حَجر؛ يخاطب بِشرَ بن عمرو؛ قاتلَ المنذر بن ماء السماء؛ الملكِ الغسّاني: (من الكامل)

نُبّئتُ أنَّ دَماً حَراماً نِلتَهُ فَهُرِيقَ في ثَوبٍ عليكَ مُحَبَّرِ[١٠]
فَلَبِئسَ ما كَسبَ ابنُ عَمرٍو، رَهطَهُ شَمِرٌ، وكان بِمَسمَعٍ وبِمَنظَرِ[١١]

إنَّ هذه الوقفة المستنكرة لهذه الجريمة العظمى، نابعة من خطورة هذا الفعل المشين المناقض للحياة؛ لأنه يستأصلها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى؛ فإن الملك يمكن أن يثأر من القائل، وربما أصاب قومه، وقد يتوسع فتيل الشرّ.. فلمَ لا يُوأد في مهده؟ بل تحريمه وإلغاء وقوعه.. كي ينعم الناس كلُّهم- ملكاً وسوقة- بحياة آمنة رغيدة.

وهكذا كان العرب ينبذون الحرب، ويستهجنون القتل، لا لملك أو سُوقة، وإنما القتل بذاته فعل بشع؛ لا يرضاه إنسان سويّ. وللدلالة على هذا المنحى، نجد أحد كبار شعرائهم، وهو عمرو بن مَعدِ يكَرِب الزُّبيديّ، يخاطب ابنَ أخته؛ قيسَ بن مَكشوح المُراديّ، مستنكراً غاضباً، لأنه غدَر برجل أجنبي غريب اسمه دا ذَويه: (من الوافر)

فما إنْ دا ذَوَي، لكمُ بِفخرٍ ولكنْ داذَوَي، فَضحَ الذَمارَا[١٢]

فهو يكرر اسم القتيل –في شَطرَي البيت- للتنكيل بالمجرم الذي انتهك ذِمَّةَ العربِ، وهذا عارٌ ما بعده عار!

هذا إذا فلتَ زِمام الأمور، وحدث قتلٌ أو قتال، فردي أو جماعي. ولكن سادةَ القوم من العقلاء والحكماء خاصةً، كانوا يعملون على نزع فتيل أي نزاع أو عراك قبل أن ينشَبَ؛ حفاظاً على الحياة الإنسانية ومسيرتها الطبيعية.

أراد الملكُ عمرو بن هند-أو النعمان بن المنذر الأكبر- أن يغزوَ عبدَ القيس، فقام المُمزِّق العبدي- شأس بن نهار –يمدح الملك ويستعطفه لِيُثنيَه عن عزمه: (من الطويل)

وناجيةٍ عَدَّيتُ، مِن عندِ ماجدٍ إلى واجدٍ -مِن غيرِ سُخطٍ- مُفرِّقِ
لِتُبلِغَني مَن لايُكدِّرُ نِعمةً بِغدرٍ، ولايَزكو لَديهِ تَملُّقي
عَلَوتُمْ-مُلوكَ الناس- في المجدِ والتُّقى وغَربِ نَدىً، مِن عُروةِ العِزِّ، يَستَقي[١٣]
وأنتَ عمودُ الدينِ، مهما تَقُلْ يُقَلْ ومهما تَضعْ -مِن باطلٍ- لا يُلحَّقِ[١٤]
أَحقّاً- أَبيتَ اللَّعنَ- أنَّ ابنَ فَرتَنَا على غيرِ إجرامٍ، بِريقي مُشَرِّقي[١٥]
فإنْ يُتهِمُوا أُنجِدْ؛ خِلافاً عَلَيهِمُ وإنْ يُعمِنوا- مُستحقِبي الحربِ- أُعرِقِ[١٦]

وفعلاً أبلغتْ القصيدةُ المراد، وبلغتِ الثمرةَ المرتجاة؛ فتراجع الملك عن نَّيته. ودُفع الشّر، وبقي السلام.

وكان هذا الملك، آلى على نفسه، أن يغزوَ قوماً.. فهل يسكتون؛ حتى يَدهمَهُمْ جيشُه؟ أم يستعدونَ للقتال دفاعاً عن أموالهم ووجودهم؟ هنا يبرز المسعى الحميد للشاعر[١٢]، فيُوجِّه خطابه إلى الملك؛ لِيعدلَ عن قَسَمه: (من الطويل)

تَحلّلْ- أبيتَ اللّعنَ- مِن قولِ آثمٍ ... على مالِنَا؛ لَيُقسَمَنَّ خُموسَا[١٣]

مما يُلفتُ النَّظرَ أنَّ الشاعر، يصف قَسَمَ الملك بالإثم، وهذا دليل على أنَّ العرب تُحرِّم العدوان، مهما كانت الذرائع والحجج، فالمالُ؛ شأنُه شأنَ الدم والعِرض، مُحرَّمٌ أيضاً. لأن الإنسانَ، لا يَشعرُ بالأمان ويَطمئنُّ؛ إذا حُقنَ دمُهَ فقط، بل يجب أن تُصانَ الحُرُمات بشكل كامل، وفي مقدمتها الأموال والأعراض..

وإذا ما حدثت خلافات بين أشخاص أو جماعات، فلابدَّ من تداركها قبل تفاقمها. وهذا ما نستشفُّه من قول صخرِ الغَيِّ؛ أخي الأَعلمِ الهُذَليّ : (من المتقارب)

ولا تُقدِمَنَّ على خُطّةٍ ... تكونُ- إذنْ-لكَ حتفاً ذَفيفَا[١٤]
ولا أبْغِيَنَّكَ بعد النُّهى ... وبعد الكرامةِ، شرّاً ظَلِيفَا[١٥]

يُحذِّرُه من التقدم إلى الشّر، لأنه سيُقَابَلُ بشّر مثله، فالأسلم أن تُحكِّمَ عقلك، لتحافظ على كرامتك وحُسنِ علاقتك.

قال ابن رشيق- في باب الوعيد والإنذار- "كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم، يتوعدون في الهجاء، ويُحذِّرون من سوء الأُحدوثة، ولا يُمضونَ القولَ، إلاّ لضرورةٍ لا يُحسنُ السكوتُ معها".[١٦]

قال تَميم بن أُبيّ بن مُقبل العَجلانيّ: (من الطويل)

أأعفُو كما يَعفُو الكريمُ، فإنّني ... أرى الشّغبَ فيما بَيننَا مُتمادِيا[١٧]
فأمَّا سُراقاتُ الهجاءِ، فإنَّها ... كلامٌ تَهاداهُ اللِّئامُ تَهادِيَا[١٨]

يُحذِّرُ من وقوع المكروه،[فَمُعظَمُ النارِ مِنْ مُستَصغَرِ الشَّررِ][١٩]. لأنهم لا يريدون وقوع الشرِّ -أصلاً- فضلاً عن التمادي فيه. قال مُحرِزُ بن المُكَعبر الضَّبيّ: (من الطويل)

ألا أيُّها المُهدي إليَّ وَعيدَهُ ... أفِقْ، وأقلُّ الحربِ ضَراً، وَعيدُهَا[٢٠]

مُحذِّراً من مَنحى الوعيد، لأنه إذا ما تلاسن القوم، فقد يؤدي إلى الإشتباك. وهذا ما يضر بالجميع، فقد يصبح مصدرَ عبَثٍ بأمنهم وتهديدٍ لسلامهم، بل ربما طال الحدثُ وتطاول الأمرُ، حتى يصيرَ؛ وبالاً على حياتهم. إذا لم يتم التصدي بحزم؛ لإخماد الفتنة بمهدها. وهذا هو هدف الشاعر، والمجتمع من ورائه؛ حفاظاً على سلمهم.

ولكن قد يقع الظلم- لأي سبب- عندها يتم التعامل مع هذه الحال بواقعها وحدودها، لئلا تستشري. فعندما أرسل عمرُو بن هند اللخمي إلى عامله في البحرين، يأمره بقتل طَرفة، أرسل الأخير: (من الطويل)

ألاَ أيُّها الغادي، تَحمَّلْ رسالةً إلى خالدٍ مِنِّي، وإنْ كان نائيَا[٢٦]
وَصِيَّةَ مَن يُهدي السَّلامَ تحيّةً ويُخبِرُ أهلَ الوُدِّ أن لا تَلاقيَا[٢٧]

في مِثل هذه الساعة، يكون الإنسانُ على أصدق حال، ينثال فيها كلامه -من قلبه- عفواً، وينساب بلا تَعُّمل إنسياباً تلقائياً. هو يُحيِّي أهلَه بالسلام، بل هو يوصيهم به، مع الإيماء إلى ثبات الودِّ بين الأهل جميعاً. فهذا ما فاه به، وهو في آخر لحظات حياته، مؤثراً بقاء أهله يرفلون بحياة الودِّ والسلام.

لذلك وجدنا مَن تصدى، لجبروت هذا الملك وطغيانه، فقد ناله من هجاء الشعراء ما لم يَنَلْ غيرَه لِظلمهِ رعيَّتَه، وتعسفهِ في حكمهم. قال سُويد بن الخَذّاق[٢٨]: (من الطويل)

أبى القلبُ أنْ يأتي السَّديرَ وأهلَهُ وإنْ قيلَ: عيشٌ بالسَّديرِ غَريرُ[٢٩]
بهِ البَقُّ والحُمَّى وأُسدُ خَفِيَّةٍ وعَمرُو بنُ هندٍ يَعتدي، ويَجورُ[٣٠]

إنه يرغبُ عن السدير، مع ما فيه من عيش تهشُّ إليه النفس وترتاح، بل ينأى بنفسه عنه، بسبب وجود عمرو بن هند الذي يتجاوز الحدود، قارناً إياه بالحشرات المؤذية والأمراض الفتّاكة والحيوانات المتوحشة.

وهناك موضوع- في الشعر الجاهلي- لم يحظَ- على أهميته- بالدراسة والتحليل، ألاَ وهو: موضوع الفِرار من المعركة.. أَلا يَدُلُّ ذلك على رفض العرب لهذه المعارك العبثية؛ التي تحدث كُرهاً بسبب جهل جُهَلائهم؟ ومن

الجانب الآخر، أَلايدلُّ ذلك على تشبثهم بالحياة؛ حياة السلام والمحبة والخير؟.

فمهما حدَّثنا التاريخ عن التقاتل والتغازي فيما بين العرب قبل الإسلام، تبقى الحرب استثناءً، وشيئاً طارئاً في حياة العرب. لا يوقد شررها إلاّ مَن شذَّ عن طبيعة الإنسان، أو انحرف عن السلوك القويم، أو أَلمَّ به جهل؛ فأفقده صوابه.

وحديثُ الشعراء عن الفرار من المعارك، حديثٌ متكرِّرٌ مُتشعِّب مُعلَّل، يطرقونه -بصور متعددة- بصراحة وجُرأة واقعية واضحة، لا نلمس فيه حياءً أو ترداداً؛ إذ لا يَرَون فيه عيباً أو خَدشاً لكرامتهم أو رجولتهم. فهذا مالكُ بن خالد، لا يتحدث عن فِراره من المعركة حسب، بل يعلن عن فرار القوم: (من البسيط)

لَمَّا رأيتُ عَدِيَّ القوم يَسلُبهمْ طَلحُ الشّواجنِ والطّرفاءُ والسَّلَمُ[٣٢]
كَفَّتُّ ثَوبَيَّ لا ألوي علَى أحدٍ إنِّي شَنِئتُ الفتى كالبَكرُ يُختَطَمُ[٣٢]

يقولُ: ضممتُ ثيابي ومضيت أعدو، لا ألوي على أحد، للهرب. لكنَّ هذا فرار جماعيّ، ربما هرباً من الأسر -وهو ذلّ- لكن قد يكون الدافع الأقوى، يكمن في الخوف من القتل؛ فليس من العقل أو المنطق، أن يُضحِّيَ الإنسان بحياته لأتفه الأسباب. فهل من الحكمة في شيء، أن يخسرَ حياته بلا ثمن؟ الحق أن حياة الإنسان، أثمن شيء في الوجود، فلا مُسِّوغَ للتفريط بها جُزافاً. فإذا ما وضع الإنسانُ حياتَه –هكذا- في مَهبِّ الريح، فستتعرض البشرية للفناء، وسيكون الوجودُ الإنساني، عبثاً. وليس كذلك هو، ولا ينبغي أن يكون.

ويقول الجَموح، في وضع مماثل: (من الوافر)

ولمَّا أنْ رأيتُ القومَ فَلّوا ولم يَكُ في هُنالكم مُقامُ
نَجوتُ نَجاءَ أَصحَمَ عبشميٍّ بِمُوليٍّ تَوارَثَهُ الرِّهامُ[٣٢]

إذن قد استجمع الشاعرُ طاقتَه ليعدوَ، عدوَ حمارٍ فزعٍ؛ دَهِمَه المطرُ الغزير. فالموقف عصيب، ولابدَّ له من أن ينجوَ كلٌّ بنفسه؛ لتستمر الحياة.

إذن كانت هذه الظاهرةُ معروفةً، حتى إن هناك شاعراً يُدعى الفَرّار السُّلَمي، يصف فراره: (من البسيط)

زَجْرُتها، ثَمَّ قدَّمتُ العِنانَ لها كأنّها خُوطَ بانٍ جفَّ، مَطلولِ[٣٤]
أثقلْتُها الخلَّ، لاألوي على أحدٍ ولايَبينُ لهمْ، زَجري ولاقِيلي[٣٥]

إذ كان مسرعاً، لإنجاء حياته من الهلاك المُحدِق.

ويوضِّح ذلك الموقفَ؛ عُميرُ بن الجَعْد، من ذي غُلائل من خُزاعة: (من الكامل)

أيقَنتُ أنْ لا شيءَ يُنجي مِنهمُ إلاّ تَغاوُثَ جَمٍّ كُلِّ وَظِيفِ[٣٦]
رَفَّعتُ رِجلاً، لا أخافُ عِثارَها ونَجَوتُ مِن كَثَبٍ، نَجاءَ خَذُوفِ[٣٧]

يقول: علمتُ أنهِ لا ينُجيني شيء، إلاّ العَدْوَ الشديد، وأنْ يُخرِجَ كلُّ وظيفٍ لي ماجَمَّ من عَدْوِهِ. المهم تحقق الغاية؛ وهي النجاة.

ويبالغ مالكُ بن الحارث، في سرعة جريه- هرباً من المعركة- بأن لا أحد، من الأحياء التي لا تملك جناحاً –يومئذ- يستطيع أن ينجوَ نجاءه، حفاظاً على حياته: (من الوافر)

فَلا يَنجو نَجائي ثَمّ حَيٌّ مِنَ الحَيَواتِ، ليسَ لَهُ جَناحُ[٣٨]

أمّا الحارثُ بن وَعْلةَ الجَرميُّ، فلا يظن أنَّ أحداً من الناس، رأى مثيلا له في نجائه، مُشبِّهاً نفسَه بِعُقاب؛ انقضَّ مسرعاً على فريسته: (من الطويل)

نَجوتُ نَجاءً لْم يَرَ الناسُ مِثلَهُ كأنِّي عُقابٌ عِندَ تَيمَنَ-كاسِرُ[٣٩]

ويذكر حُصيبٌ الضَّمَريُّ، فَرَّتَه: (من البسيط)

أنجُو إلى السَّهلِ، لا أنجُو إلى أحَدٍ كأنَّ ثَوبَيَّ- مِمّا أزدَهى- قِدَدُ[٤٠]
يالَهفَ نَفسي، ولَهفٌ غَيرُ مُجدِيةٍ شيئاً، وما عَنْ قضاءِ اللهِ مُلتحَدُ[٤١]

فمن أجلِ سلامة رُوحه؛ خَفَّ مُنطلقاً من المعركة، حتى لم يشعر؛ وقد تمزقتْ أثوابه إرباً إربا.

ويشكر حَزنُ بنُ مِرداس بن أبي عامر السُّلمي، اللهَ تعالى؛ على سلامته، كما يذكر أثر سرعة فرسهِ، في نجاته؛ وبذلك لم تتيتَّمْ عياله: (من الوافر)

ولَولا اللهُ، والحَصّاءُ، فاضَتْ عِيالِيَ، وَهْيَ باديةُ العُرُوقِ[٤٢]

إذن لولا العناية الإلهية، كانت عياله ستموت- جوعاً- من بعد مُعيلهم. فكان الفرارُ سبباً للنجاة، والنجاةُ سبباً لبقاء الحياة، والحرصُ عليها هو الأرضية الأساسية الصالحة لدوام الامان والسلام بين الناس أجمعين.

كان الفِهريُّ ينزل عند أخواله؛ بني قُرَيم بن صاهلة، عندما تعارك معهم؛ جماعة من بني عَديٍّ من فَهْم، فخرج من أخواله، تاركاً المعركة: (من الكامل)

وأقولُ لَمّا أنْ بَلغتُ عَشيرتي ماكادَ شَرُّ بَني عَديٍّ يَنجلي[٤٣]

وقد وصف الحربَ بأنها شرٌّ يجب تجنُّبه، وأنَّ الراغبين بها هم أشرار؛ غير أسوياء، لأنهم يناقضون الحياةَ الطبيعية، والسلوك القويم.

ويذكر أبو خِراش،[٤٤] قرَّةً فَرَّها: (من الطويل)

تقولُ ابنتي لَمّا رأتنيْ عَشِيّةً: سَلِمتَ، وما إنْ كِدتَ بالأمسِ تَسلمُ
ولولا دِراكُ الشَّدِّ، قاظتْ حَليلتي تَخَيّرُ مِن خُطّابها، وَهْيَ أيِّمُ[٤٥]
فَتَقْعُدَ، أو تَرضى مَكاني خَليفةً وكادَ خِراشٌ- يومَ ذلكَ-يَيْتمُ[٤٦]

فغشيان المعركة – بلا ضرورةٍ مُلجئة- يعني: القتالَ والقتل، ثم الترمُّل واليُتم.. أما تَركُها –إذا حانت فرصةٌ أو سبيل- فيعني: السلامةَ والسلام.

يفخر جَبّارُ بن سلمى[٤٧] بإجارته عامرَ بنَ الطُّفيلِ، وحَملهِ إياه على فرسه: (من الطويل)

ونحنُ أجَرنَا عامِراً، يومَ عامرٍ فأفلتَ مِن أقتالهِ، لَيلَةَ الغَمْرِ[٤٨]

فقد أفلتَ عامرٌ من المعركة، وأنجاه جبار.. هذا مثال للتسالم على الفرار، بل التعاون عليه، كان ابن الطفيل من الشجعان الأبطال، والفرسان المعدودين، ومع ذلك لم يَدعْ مخرجاً سنح له لِيفلُتَ من القتل، ساعده في ذلك

فارس آخر معروف. فالحياة تَهُمُّ الجميعَ، وسلامتها مطلبهم؛ ففيها أمنُهُمُ المنشود.

ويمدحُ الحطيأةُ، عروةَ بن سُنَّةَ العبسيَّ، شاكراً إياه تخليصَه من أهوال معركة، وإنجاءه من شدائدها وشرورها: (من الطويل)

لمْ تَرَ عَيني، مِثلَ عُروةَ خُلّةً ومَولىً، إذا ما النَّعلُ زَلَّ قِبالُهَا[٤]
وأنتَ امرُؤٌ نَجَّيتَني، مِن عَظيمةٍ مَخُوفٍ، تَردِّيهَا، شديدٍ، وَبالُهَا[٥]

هذا مما ذكره شعراء الجاهلية؛ من الفرار من المعارك والنجاة من القتل؛ حرصاً على الحياة ولم يكن ذلك مقصوراً على فئةٍ أو مجموعة مخصوصة منهم، بل كان ذلك عامّاً فيهم، معروفاً عندهم. مما يدلُّ على انتشاره وشيوعه بينهم. ومن ثَمَّ فهو دليلٌ واضحٌ على حبِّ الحياة والتمسُّكِ بها، وعدم التفريط بهذه النعمة الجليلة التي لا يَعدِلُها شيء، بل هي أسمى من كلِّ ثمن، أو أنها أمانةٌ مقدسة لا ينبغي أن تُمَسّ. وبذلك يكون الاتجاه نحو الحياة الإنسانية المُسالمة الآمنة، ليكونَ السلامُ سائداً سالماً أبداً.

وقد يَعترضُ مُعترضٌ – وله الحقُّ؛ بما هو ظاهرٌ مشهور عن الجاهليين - بأنَّ مَواقفَ الفرار من المعاركِ؛ أمرٌ سَلبيٌّ، فيما عُرفَ عن المجتمع الجاهلي.

لكنَّ ذلك؛ نَظَرٌ خارجيٌّ – إذا صَحَّ التعبير- فإذا ما تعمَّقنا في دَواخل المجتمع، وحقيقة النَّفس الجاهلية؛ تتجلّى نفساً إنسانية – على أية حال – ورُبَّما اختلف خِطابُ النفس؛ إذا خَلِيَتْ، وتحرَّرتْ من قُيود العصبيّات، واندفاعات النَّزَق والخِفَّة والطَّيش والمغامرة، ونَزَغات الرُّعونة والحُمق والمكابرة والمباهاة ..

عندها يَرتفعُ منطقُ العقلِ والحكمة، ويَعلو صوتُ الرَّزانة والوَقار. ويكونُ الموقفُ الصائب السليم الثابت؛ الذي يَشُدُّ الإنسانَ بإنسانيَّته؛ فَيَنْحوَ نَحوَ الخير والحياة الكريمة؛ بالتقارب والتآزر والتآلف والتعاضد، ثم الانسجام والوئام والتلاحم والتوحُّد؛ فيما بين أبناء جنسه، بل قرابته وعمومته .. ليحافظوا على قِيَمِ المحبَّة والودِّ والتراحم والتصافي والتسامح والتساهل .. فيحفظوا قوَّتَهم ومَنَعَتَهم وعزتهم وكيانهم ووجودهم ..

ويعيشوا طيِّبينَ ناعمين، في رَغَدٍ وسعادة، يُزهران اطمئناناً واستقراراً، يُثمران أماناً وسلاماً راسخاً؛ يَعُمُّ الأرضَ ويشمل المجتمع ..

ومِن ثَمَّ رفاهيةٌ وسَعَة ودَعَة؛ يرفُلُ بها الإنسانُ –الجاهلي- ناقضًا ما يُقابلها، ماحياً ما يُهدِّدها؛ بعزمٍ وإصرار ..

اما ما يُعلِّلُ به بعضُهم الظروفَ القاهرة لفرارهم، او يُسوِّغُ اضطرارَهم؛ وقد شهدَ الناسُ بَلاءهم، فيما يتوعَّدون بالانتصاف لكرامتهم .. فذلك كلُّه توكيدٌ لشجاعتهم المعهودة، لئلا يُوصَموا بالجُبن؛ الذي لا يُماري أحدٌ في أنه عَيبٌ ومَنقصةٌ، قد بَرِئ منه رجالُهم، خاصةٍ. لأننا قد رأيناهم يصفون قصدَهم إلى الفرار قصدا؛ بتفصيلٍ دقيق.

هذه هي النتيجةُ الطبيعية الواقعيةُ الشاخصة، لصورةٍ مُتلمَّسةٍ من صور "حُبِّ الحياة" العتيد .. أليس ذلك هو الأصلُ الأصيلُ، واللُّبُّ الأثير؟. الذي ينبغي ألاَّ نتجاهله – وإنْ بَدا غريباً عن المُتبادر الى الذِّهن، لأوَّل وَهلة- بل علينا إقرارُهُ والاعترافُ بحقيقته وأحقيَّته ..

ومن الصُّوَر الأخرى لـ"حبِّ الحياة"؛ الانطلاقُ من الأَسر.. كان بِشرُ بن أبي خازم الأسديّ، قد هجا أوسَ بن حارثة، ثم وقع أسيراً بيده، فأطلقه وحَباه. فقال بِشرٌ؛ مادحاً مُمتنّاً، ومعتذراً: (من الطويل)

فإنْ تَجعلِ النَّعماءَ مِنكَ تِمامةً ... ونُعماكَ نُعمى، لا تَزالُ تَفيضُ[٥٢]

يكُنْ لَكَ في قَومي، يَدٌ يَشكُرونَهَا ... وأيدي النَّدى- في الصالحينَ- قُروضُ[٥٢]

فَكَكْتَ أسيراً، ثُمَّ أفضَلتَ نِعمةً ... فَسُلِّمَ مَبْرِيُّ العِظامِ مَهيضُ[٥٢]

يقول له: إنْ تُنعم عليَّ؛ تماماً لردِّ حياتي؛ يكنْ لك في قومي، يدٌ يشكرونها.

وقد أورد أبو الحسن ابن طَباطبا العلويّ، البيتَ الثاني، بين الأبيات التي زادتْ فيها قريحةُ قائليها على عقولهم، وأنه فضَّلَ الممدوح، على نفسه وقومه.[٥٤]

وذلك طبيعيٌّ، في مِثل موقف الشاعر؛ موقفِ العرفان بالجميل. وصدق رسولُنا الأكرم (ص)، عندما قال: **(مَن لا يَشكرُ الناسَ، لم يَشكِرِ الله)**.

وهذا-أيضا- من الموضوعات التي كثيراً ما طرَقها الشعراء، لأنه يعني –فيما يعنيه- تقديسَ الحياة، ودفعَ شرِّ الحرب، والسير حثيثاً نحو السلام. قال عامر بن الطُّفيل، مفتخراً: (من الطويل)

وأدَّيتُ زَيداً، بَعدما كان ثاوياً   إلى أهلهِ- يومَ الثّنيِّة- سالمَا[٥٥]
فأصبحتُمُ، لا في سَوامِ فِدائهِ   وأصبَح في تَيمانَ، يَخِطرُ ناعِماً[٥٦]

وحُقَّ له الفخرُ، فقد أوصل أسيره إلى أهله سالماً، بعد خروجه من المعركة معافى، ولم ينتظر مساومة اهله في فدائه، فقد نجّاه تفضُّلاً منه، كما حرَّره من الأسر تكرُّماً.

ويفخرُ شاعرُ بني شيبان، بغريب الشام[٥٧]؛ إذ لم يكن له مثيلٌ في إطلاق سراح الأسرى، ولاسيما مَن ابتعدتْ ديار أهله؛ فإما يكون مجيؤهم لافتكاكه شاقّاً عليهم متعسراً، وإما لا يهتدون إلى مكانه، أو لا يعرفون بِأسره أصلاً.. فهذا كلُّه مما يرفع من قدْرِ صنيعه، ويُكرِّمُ قدْرَه: (من الطويل)

ومِنّا غريبُ الشامِ، لم يُرَ مِثلُهُ   أفَكَّ لِعانٍ، قد تَناءَى أقاربُهْ[٥٨]

كان الأعشى، أسيراً لرجل؛ نزل عند شُريح بن حِصن بن عِمران بن السَّموأل بن عادياء، فاستغاث به الأعشى: (من البسيط)

شُرَيحُ لاتَتْركَنّي، بعدما عَلِقتْ   حِبالَكَ اليومَ- بعدَ القِدِّ- أظفاري[٥٩]

فاستوهب شريحٌ، الأعشى من الرجل، فوهبه له، فقام شريح بإكرامه وإعانته على العودة إلى قومه. فقال الأعشى شاكراً:

فكانَ أوفاهُمُ عَهداً، وأمنَعهُمْ   جاراً، أبُوكَ بِعُرفٍ، غَيرِ إنكارِ[٦٠]

فهذه هي أعرافُ العرب، وتقاليدُهم التي يتوارثونها، ويفخرون بها.

كان رهطٌ من قوم المُثقّب العبديّ، أُسارى عند عَمرو بنِ هند، فسار الشاعرُ الى الملك، مادحاً وشافعاً؛ لإطلاق سراحهم: (من الطويل)

فإنَّ أبا قابوسَ، عِندي بَلاؤهُ   جَزاءً بِنُعمى، لا يَحِلُّ كُنُودُهَا[٦١]
وجدتُ زِنادَ الصالحينَ نَمينَهُ   قديماً، كما بَذَّ النُّجومَ سعودُهَا[٦٢]
الى مَلِكٍ، بَذَّ المُلوكَ بِسَعيهِ   أفاعيلُهُ؛ حَزمُ الملوكِ، وجُودُهَا[٦٣]
فأنعِمْ- أبيتَ اللعنَ- إنّكَ أصبحتْ   لَديكَ لُكَيزٌ، كهلُهَا ووليدُهَا[٦٤]
وأطلِقْهُمُ، تمشي النساءُ خِلالَهُمْ   مُفكَّكَةً- وَسْطَ الرِّحالِ- قُيودُهَا[٦٥]

يُمهِّدُ الشاعر، بأنَّ النعمة، لا يمكن أن تُجحدَ أو تُكفر؛ لأن ذلك يدخل في الحرام، وأنَّ الملك ينتمي إلى سلَف صالح؛ ليس في نَسَبه مَطعن، وأنه فات الملوكَ حَزماً وجُوداً..ليدخلَ في غرضه وهو: أن يَمُنَّ بِفكِّ أسر قومه، داعياً له ومُحيياً بتحية الملوك عند الجاهليين.. وفعلاً حصل المطلوب، بإطلاق سراح الأسرى، فكان لهم استئنافُ حريتهم وحياتهم الكريمة.

وأطلق الحارثُ بن أبي شَمِر الغسّاني، أسرى بني أسد، للنابغة، فقال: (من الطويل)

غَداةَ غَدَوا فيهمْ مُلوكٌ وسُوقَةٌ ... يُوَصُّونَ بالإفضالِ، أبيضَ بارِعَا(٦٦)

إذا تَلقَهُمْ، لا تَلْقَ لِلبَيتِ عَورةً ... ولا الجارَ مَحروماً، ولا الأمرَ ضائعَا(٦٧)

بِحَمدِ ابنِ سَلمى، إذْ شَأَتْني مَنِّيتي ... لَيالِيَ رَجَّيتُ الفُضولَ النَّوافِعَا(٦٨)

يمدح أُصولَ الحارث؛ لأنهم كانوا يأمرونه بالإفضال على الناس، وسياستهم بالرحمة وإسباغ ما ينفعهم.

وكان الحارث بن جَبَلة بن أبي شَمِر الغسّانيّ، أسَرَ جمعاً من تَميم، فيهم شَأْس، أخو عَلْقمة بن عَبَدةَ الفَحْل، الذي رحل إلى الملك، يطلب فَكَّ أخيه: (من الطويل)

وأنتَ امْرُؤٌ، أفضتْ إلَيكَ أمانتي ... وقبلَكَ رَبَّتْني-فَضِعتُ- رُبوبُ(٦٩)

فأدتْ بَنو عوفِ بنِ كعبٍ، رَبيبَهَا ... وغُودرَ في بعضِ الجنودِ، رَبيبُ(٧٠)

وفي كُلِّ حَيٍّ، قد خَبطْتَ بِنِعمةٍ ... فحُقَّ لِشأسٍ، مِن نَداكَ، ذَنوبُ(٧١)

فلا تَحرِمَنّي نائلاً، عن جَنابةٍ ... فإنِّي امْرؤٌ- وَسْطَ القِبابِ- غَريبُ(٧٢)

يقول له: صارت إليك حاجتي، فبرزتْ نحوَك، وانتهتْ إليك، وقبلك مَلكَتْني أربابٌ من الملوك، فضعتُ حتى سرتُ إليك؛ فأدركتُ ما أُحبُّ عندك. فأُطلقَ سراحُ بعض، وتُرك في الأسرى مملوك؛ يعني أخاه شأساً. ويضرب المثل لما يُسديه من المعروف، ويتفضّل به، يُشير بذلك إلى شفاعة النابغة في أسارى بني أسد؛ فأطلَقهم، وكانوا ثمانين ونيفاً. ثم يضرب الذَّنوبَ مثلاً؛ لنصيب شأس، وحظِّه في كرم الملك. وأخيراً يرجو ألاّ يحرمَه -بعد غُربةٍ وبُعد، عن دياره- مما يُؤمِّلُ فيه. "فقال الملك: إي -والله- وأذنِبَةٌ، ثم أطلق شأساً".(٧٣)

وأكثرُ من ذلك، ينقل أبو عُبيدة عن أبي عَمرِو بن العلاء: أنه أطلق أُسارى بني تميم، وحَمَلهم وكساهم وزَوَّدهم!

هكذا كان مسعى الشعراء، يُثمرُ خيراً عميماً، انتصاراً للحياة وأهلها..

لمّا أسرَ النعمانُ الغسانيّ، سبعين رجلاً من بني أخزم، رهطِ حاتمٍ الطائيّ، دخل عليه الشاعر، فأنشد: (من البسيط)

إنَّ امرأ القيسِ، أضحى مِن صَنيعتِكُمْ وعبدَ شمسٍ- أبيتَ اللعنَ-فاصطَنِعِ
إنَّ عَدِياً، إذا مَلَّكْتَ جانِبَها مِن أمرِ غَوثٍ، على مَرأىً ومُستَمَعِ[٧٤]

فأُعجب به، واستوهبهم منه، فوهب له بني امرئ القيس بن عَديّ، ثم أنزله، فأُتي بالطعام والخمر.فقال له مِلحانُ بن حارثة: أتشربُ الخمرَ، وقومُك في الأغلال؟ قُمْ إليه فسَلْهُ إياهم. فدخل عليه ناشداً: (من البسيط)

أتبِعْ بَني عبدِ شمسٍ، أمرَ صاحبِهِمْ أهلي فِداؤكَ، إنْ ضَرُّوا وإن نَفعُوا
لا تجعلَنّا-أبَيتَ اللَّعنَ- ضاحِكَةً كمعشرٍ صُلمُوا الآذانَ، أوجُدِعُوا[٧٥]

فأطلق له؛ بني عبدِ شمس بن عديّ بن أخزم.. وهكذا قدّمَ حاتمٌ الاعتذار عن قبيلته، فشفَّعه النعمان؛ وأطلقهم، فعادت إليهم حريتُهم وعادوا إلى حياتهم الآمنة.

وقال عبدُ الله بن عَنَمةَ الضبيّ، يتشكر لِمُتمِّم بن نُويرة اليَربوعيّ؛ لإطلاقه من الأسر: (من الطويل)

جزى اللهُ ربُّ الناسِ، عَنّي مُتَمّماً بِخَيرِ الجَزاءِ، ما أعفَّ وأمْجَدَا
أُجِيزتْ بِهِ دِماؤنا، فَوَفى بِها وشارَكَ في إطلاقِنا، وتفرَّدَا
أبَا نَهشَلٍ، فإنّني غَيرُ كافرٍ ولا جاعِلٌ، مِنْ دُونِكَ المالَ مُؤْصَدَا[٧٦]

و **(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)**[٧٧] فقد أحسنَ مُتمِّمٌ إلى أسيره، ثم افتكَّه، فكانت هذه المشاعرُ الطيّبة من عبد الله، إذ يدعو من الله تعالى؛ أن يجازيَه على حُسن صنيعه، ومِنَّته في إطلاق سراحه، ويتعجب فيُعظِّم وفاءه، وكرمه وجوده، ولا يكتفي بذلك؛ فيجعل ممدوحه منفرداً بتلك السّجية؛ لتميُّزه بها، ثم يُناديه بِكُنيته تحبُّباً، مُتعهداً بألاّ يجحدَ ما أفاض به عليه من نعمة، ولا يبخلَ فيما يطلبه من مال.. ولكنَّ الرجل الفاضل لم يطلب مالاً.. فكانت هذه المشاعر الجيّاشة؛ خيرَ ثمرة لذلك العمل الجليل. وبذلك يتأكَّدُ السلام.

وأطلقَ صَعصَعةُ بنُ محمودِ بنِ عَمرِو بنِ مَرثَدٍ، أسارَ أحمرَ بنِ جَندَلٍ السعديَّ. فبعث أخوه سَلامةُ بنُ جَندل، بهذه الأبيات إلى المُحسن؛ يشكره ويُشيد بصنيعه: (من الطويل)

سأجزيكَ بِالقِدِّ الذي قد فَكَكْتَهُ سأجزيكَ ما أبلَيْتَنَا العامَ، صَعْصَعَا[٧٨]

فـــإنْ بَـــكُ محمـــودٌ أبـــاكَ، فإنَّنَـــا وَجَـدْنَاك مَنسـوباً إلـى الخيـر، أروَعَـا[٧٩]
ســـأُهدي- وإنْ كُنَّـــا بِتَثليـــثَ-مِدحـــةً إليـــكَ، وإنْ حلَّـــتْ بيُوتُـــكَ لَعلَعَـــا[٨٠]
فـــإنْ شِـــئتَ، أهـــدَينَاَ ثَنـــاءً ومِدحـــةً وإنْ شـــئتَ، عَـــدَّينَا لكـــمْ مِئـــةً مَعَـــا[٨١]

فقال صعصعةُ: "المِدحةُ والثناءُ، أحبُّ الينا". إن تأكيد الشاعر؛ أنه أوجبَ على نفسه حُسنَ جَزاءِ الإحسان، يدل على عِظَمِ امتنانه. وإنَّ جواب الممدوح الإيجابي، يدلُّ على تفاعله مع الشاعر. وكلاهما –الفعل ورد الفعل- يصبّان في مجرى الحياة الرشيدة المسالمة؛ ليدومَ الحبُّ والوئام، وينتشر السلام بين الناس.

كان يزيدُ بن عمرو بنِ شَمَّر؛ من بَني سُحَيم، ثم من بني حَنيفة، قد أسَرَ عَمرَو بنَ كُلثوم التغلبيّ، فأنزله قصورَ حَجْر، فضرب عليه قُبّةً ونَحَرَ له جَزوراً، وسقاه حتى انتشى، وكساهُ حُلَّةً، وحَمَلَهُ على نَجيبةٍ. فقال عَمْرٌو

(من الوافر)

جَـــزى اللهُ الأجَـــلُّ، يَزَيـــدَ خَيـــراً ولَقّـــاهُ المَسَـــــرّةَ والجمَـــــالاَ[٨٢]

وهكذا يتواصلُ هذا العمل الكريم، وتشكُّرات الُمحرَّرين تَترى، لِيفعلَ المعروفُ فعلَه الجميل بين الناس، ويكونَ الخيرُ والصفاء والأمان؛ لِيعيشَ الناسُ حياةَ السلام، التي هي الهدف الأسمى للجميع.

لَمَّا مَنَّ المُجالحُ بنُ عمرٍو الهَمْدانيُّ، بإطلاق عمرِو بن مَعدِ يكَرِب، قال مُمتنّاً:

(من الطويل)

لَعَمـــري لقـــد مَـــنَّ المُجـــالحُ مِنّـــةً عَلـــيَّ، فَنُعْماهَـــا لَـــهُ آخـــرَ الّـــدهرِ[٨٣]

لاشكَّ أنَّ الشاعرَ سيظلُّ يحمل نعمة محرره -في رقبته- أبدَ الدهر؛ وليس حتى نهاية عمره، فأولاده وأحفاده من بعده، سيرُوون هذه النعمة ولا ينسونها، وبعد ذلك أبناء العمومة والأهل والعشيرة .. وهكذا ينتشر الطِّيب فوَّاحاً؛ بالمحبة والوفاء.

أسرَتْ طيئ، بني بدر؛ فطلبتْ فَزارة وأفناءُ قيس، إلى الحُطَيأة، أن يهجوَ بني لأمٍ وزيداً، فأبى عليهم، وقال: حَقَنَ دمي، وأطلقني بغير فداء، فلستُ بكافرٍ نعمتَه أبداً:

(من الطويل)

سـيأتي ثَنــائي زَيـداً بـنَ مُهَلْهِـلِ   إلاّ يَكُـــنْ مـــالٌ يُثـــابُ، فإنّـــهُ[84]

قالوا: فإنّا نُعطيكَ مئَـةَ ناقـة! قـال والله، لـو جعلتموهـا ألفـاً، مـا فعلـتُ[85].

(من الطويل)

فـإنْ يَشـكروا، فالشـكرُ أدنـى الـى التَّقـى   وإنْ يكفُـروا، لا ألْـفَ-يـا زَيـدُ- كـافِرَا[86]

يـذكُر مَـن أنعـم علـيهم زيـد، بـإطلاق سـراحهم معـه هـذا مـع اشـتهار الحُطَيـأة؛ بـالطمع والهجـاء! لكنهـا الأخـلاقُ العربيـة المكينـة، والقـيم النبيلـة، والمبادئ الأصيلة..

لقـد كـان ذا موقـف الحطيـأة فـي عرفانـه بالجميـل والوفـاء، فكيـف بـالآخرين؛ ممـن لـم يَتَّصـفوا بمـا اتَّصـف بـه الحطيـأة؟ بـل كيـف بـالمُتميِّزين بالخُلق الرفيع، والسجايا العالية؟ من أمثال زيد الخيل الطائي؛ الذي وفد على النبـي (ص)، فسـمَّاه زيـدَ الخيـر، وقـال لـه: **(يـا زيـدُ مـا وُصـفَ لـي أحدٌ فـي الجاهليـة، فرأيتُـهُ فـي الإسـلام، إلاّ كـان دون الصِّفَـة، لَيْسَـكَ)**.[87] وأقطعَـه أرضاً.[88]

ومَنَّ عَمرُو بنُ كُلثوم، على الصِّمَّةِ الجُشَميّ،[89] بـإطلاق سـراحه، فقال شاكراً:

(من البسيط)

إنّـي لَمُـثنٍ علـى عَمـرو، بنِعمتِـهِ   مادُمـتُ فـي أَسـرَتي، أو عندَ أحبـابي

إنَّ المكـارمَ والأحسـابَ، قـد عَلمـتْ   عُليَـا مَعَـدٍّ-إذا عُـدَّتْ-لِعَتّـابِ[90]

أَمّا عَرفجةُ بن بُجير العِجليّ البكريّ، فقد جَزَّ. ناصيةَ خالد بن مالك بن سلمة التميميّ، ثُمَّ أَطلقه. فقال خالد: (من الوافر)

وَجَـدنَا الرِّفـدَ، رِفـدَ بَنـي لُجَـيم   إذا مـا قَلّـتِ الأرفـادُ، زَادَا

وهـمْ مَنُّـوا علـيَّ، وأطلقُـوني   وقـد طاوعـتُ-فـي الجَنـبِ- القِيـادَا

أَلَيسُـوا خَيـر مَـن رَكِـبَ المَطايـا   وأعظمَهُـمْ-إذا اجتمعُـوا- رَمـادَا[91]

ولمَّا تَخلَّص مسعودُ بنُ سالم بن أبي سلمى، رَبيعةَ بنَ مَقروم، من الأسر، قصَدَه الأخير؛ مادحاً: (من البسيط)

ما لمْ ألاقِ امْرأ جَزلاً مَواهبُهُ ... سَهلَ الفِنَاء، رَحيبَ الباعِ، مَحمودَا[٩٢]
وقد سمعتُ بِقومٍ يُحمَدونَ، فلمْ ... أسمعْ بِمثلِكَ، لا حِلماً ولاَ جُودَا
ولاعَفافاً، ولاصَبراً لِنائبةٍ ... وما أُنَبِّئُ عنكَ، الباطلَ، السِّيدَا[٩٣]
لاحِلمُكَ الحِلمُ، مَوجودٌ عليهِ، ولاَ ... يُلفى عَطاؤكَ- في الأقوامِ- مَنكُودَا[٩٤]

يقول له: إنني أُخبر جدَّنا الأعلى -الذي يجمعنا- بهذه الخصال والمزايا، التي تتمتع بها حقاً، ولا أمدحك باطلاً.

ويتَّضح أثرُ الشعراء في استتباب الأمن؛ من هذه الحادثة: حينما كان النابغةُ، عند الملك الحارث بن جَفنة، سبى النعمانُ بن وائل بن الجُلاح الكلبي، سبياً من غَطَفان، وأخذ عقربَ، فسألها: مَن أنتِ؟ فقالتْ: أنا بنتُ النابغة ، فقال: والله، ما أحدٌ أكرم علينا من أبيكِ. فجهَّزها وخلاَّها. ثم قال: والله، ما أرى النابغةَ، يرضى بهذا مِنَّا، فأطلقَ له سَبيَ غطفان وأسَراهم، فحضر إليه النابغة، يُثني على موقفه النبيل، وحِفظِ مكانته؛ غائباً: (من الطويل)

فَسَكّنتَ نَفسي بعدمَا طارَ رُوحُهَا ... وألبَسْتَني نُعمى، ولَسْتُ بِشاهِدِ
وكنتُ امْرأً، لاأمدحُ-الدَّهرَ-سُوقةً ... فَلستُ، على خَيرِ أتاكَ، بِحاسِدِ[٩٥]
لامَرحباً بِغَدٍ، ولا أهلاً بهِ ... إنْ كانَ تَفريقُ الأَحِبَّةِ، في غَدِ[٩٦]

لم يكن النابغةُ يمدحُ، إلاّ الملوكَ وكبارَ السادة، وقد رأى هذا المنعِمَ، أهلاً لمدحه برضىً تام، غير حاسد على مكارمه التي أهَّلته لهذا المَقام، إذ أعاد لُحمةَ الأهل والأحبَّة، ولم يُنغِّص عيشهم، بل أراحَ أرواحهم وسكَّن نفوسهم. وتبدو الحكمةُ جليةً في بيته الأخير؛ في الحرص الشديد على اجتماع الشمل.

ويَسجُنُ النعمانُ بنُ المنذر، عديَّ بن زيد، فيرسل الشاعر إلى الملك قصيدةً، فيها النصيحة الحكيمة، والاعتذار الرقيق، والإيمان الراسخ: (من الوافر)

ألاَ مَن مُبلغُ النَّعمانَ عَنِّي ... وقد تُهدى النَّصيحةُ بِالمَغيبِ
أتَاكَ بأنّني، قد طالَ حَبسي ... فلم تَسألْ، بِمسجُونٍ حريبِ[٩٧]
وما لي ناصرٌ، الاّ نِساءٌ ... أرامِلُ، قد هَلَكنَ مِنَ النَّحيبِ

فـإنْ أخطـأتُ، أو أوهَمـتُ أمـراً فقـد يَهِـمُ المُصـافي بالحبيـبِ
وإنْ أظلِـمْ، فقـدْ عـاقبتُموني وإنْ أُظلَـمْ، فـذلكَ مِـن نَصـيبي
فهـلْ لـكَ أن تَـداركَ مـا لَـدينا؟ ولاُ تغلَـبْ، علـى الرُّشـدِ المُصـيبِ
وإنّـي قـد وَكْلـتُ اليـومَ أمـري إلـى رَبٍّ؛ قَريـبٍ مُسـتجيبِ[٩٨]

واذا كان عتابُ عديّ، واسترحامه ليّناً هادئاً. فهناك من يثور، ويُنكر بقوة، مايقوم به بعضهم من تجاوزات. حينما اختلفتْ أسدٌ وطيئ، حتى تحارب الحيّان، أسرَ الأسديّون، زيدَ بن مُهلهل، وأخذوا السبايا. فانتفض عليهم زيدُ الخيل: (من الطويل)

بَنـي أسَـدٍ رُدُّوا عَلينَـا نِسـاءَنَا وأبناءَنَـا، واسْـتَمتِعُوا بِالأبـاعِرِ
وبِالمِـالِ؛ إنَّ المـالَ أهْـونُ هالِـكٍ إذا طَرَقَـتْ إحـدى الليـالي الغَـوابِرِ
ولَا تَجعلوهَا سُنّةً، يَقتدي بِهَا بَنُو أسَدٍ، واعفُوا بأيدٍ قَوادِرِ[٩٩]

فهو يخشى أن يكون السبيُ والأسرُ، سُنةً يسير عليها الخَلَفُ، غيرُ مُكترثٍ بما ذهب من أموال، فالمهم هو الإنسان الذي هو عِماد المجتمع، وسلامتُه سلامةٌ للمجتمع كله.. ومن ذلك يظهر أنَّ الأسرَ لم يكن شائعاً عندهم، ولا مقبولاً -ولاسيما للنساء والصغار- لهذا نحسُّ تفاؤلاً فيمن يُؤسرُ منهم، كما حدث لبِشر الأسديّ، عندما حُمِل على هجاء أوس بن حارثة الطائي، ثم أُسر، فاشتراه أوس. عندها وقف بِشر؛ يخاطبه خطاب الأُخوَّة (من الرجز)

أحْسِـنْ، وأجمِـلْ فـي الأسَـارِ، ياسَـلَمْ
وارْفُـقْ، بَمـا والاكَ رَبِّـي، يـا ابْـنَ عَـمْ[١٠٠]

هنـا، يختـارُ الشـاعر "سـلمةَ" اسـماً لأوس، طالبـاً إحسـانه، والصـنيع الجميل في حال الضَّعف؛ التي يعانيها. مخاطباً إياه بإكبار؛ بما أنَّ الله تعالى قد أعطاك نِعمَهُ، وخَصَّك بها؛ فأنت جديرٌ بأن ترفُقَ بابن عمِّك. وهذا دليل على شعورهم بأنهم إخوة؛ مهما تباعدت أنسابهم، فلا بدَّ أن يكون تعاملهم على هذا المستوى الإنساني الرفيع.. لذلك هو يتفاءل –أخيراً- بقوله:

سَـــلامةٌ، ونِعمـــةٌ مِـــنَ الـــنِّعَمْ(١)

أي أنَّ عُقبى أمره: سلامة نفسه، ونعمة من كرم صاحبه.

وقد يحدث أنَّ بعضهم، لا يشكرون النعمة، أو يجحدون، فيترك ذلك أثراً سلبياً أو ألماً، لدى المُنعِم. يقول الأعشى لعُمَيرِ بنِ عبد الله بن المنذر بن عبدان: (من الطويل)

ونَحـــنُ فَكَكْنَـــا سَـــيِّدَيْكُمْ، فَأَرسِـــلاَ — مِـنَ المَـوتِ لَمّـا أَسـلِمَا شَـرَّ مُسْـلَمِ
تَلافاهُمَـا بِشـرٌ مِـنَ المـوتِ بعـدما — جَـرتْ لَهُمـا طَيـرُ النُّحـوسِ بأشـأَمِ
فَـــذلكَ مِـــنْ أيّامِنَـــا وبَلائنَـــا — ونُعمـى علـيكُمْ، إنْ شَـكرتُمْ لأَنْعُـمِ(٢)

ولا أظنه كان يتفاخر عليهم، بهذا الصَّنيع؛ لو أنهم شكروا ذلك أو ذكروه.

وذا مُحرِزُ بن المُكَعبِرِ الضبي، يفخر؛ بأسىً: (من الطويل)

أطلقتُ مِنَ بَنـي شَيبانَ، سَبعينَ عانياً — فـــآبُوا جميعـــاً، كُّلهـــمْ لـــيسَ يَشـــكُرُ
إذا كنـــتَ فـــي أفنـــاءِ شـــيبانَ، مُنعِمـــاً — فَجُـــزَّ اللِّحـــى، إنَّ النَّواصِـــيَ تُكفَـــرُ(٣)

ناعياً على هؤلاء الذين أطلق سراحهم، نسيانَ الفضل ونكران النعمة، لذلك هو يسخر من هذا الحيّ بأن يكون الإطلاق بجزّ اللِّحى، لا النواصي؛ حتى يُعرفوا -في أحياء العرب- أنَّهم طُلَقاءُ؛ فَيذكِّرونهم على الدوام. عندها؛ لا يجدون إلى الجحود سبيلاً.

ويبقى هذا الموقف السلبي وأمثاله، نادراً وشاذّاً عند العرب، لذلك نرى مثل هؤلاء يُتلاقفون بالاستهجان والتشهير، كما نجد عند الجُمَيح(٤) الذي يستنكر أشدّ الاستنكار، خرق بني عامر، للهدنة التي كانت معهم: (من المنسرح)

سَـــائلْ مَعَـــدّاً: مَـــن الفَـــوارسُ لاَ — أوْفَـــوا بِجِيـــرانِهِمْ، ولاغَنِمُـــوا
لوخـــافكُمْ خالـــدُ بـــنُ نَضـــلَةَ نَجـــْ — جَتْـــهُ سَـــبُوحٌ، عِنانُهَـــا خَـــذِمُ(٥)

يريد أن يَفتضحهم- لِشنيع فعلهم- فيقول: سائلِ العربَ؛ لأنَّ أكثرَ نسبهم في معدٍّ بن عدنان، ويستفهم؛ تشهيراً ببني عامر، حين غدروا بخالد

بن نضلة، فلم يُوفوا بِهُدنتهم، ولاهم أصابوا-بِقتلهم إياه-غُنماً. ثم يُشير إلى أنَّ خالداً، كان آمناً –بعهدهم- فلم يأخذ حِذرَه، ولو خافهم لنجا بفرسه السريعة.

إذن، إذا ما حدث أمرٌ، غير سويّ أو مخالف للعُرف والآداب العامة؛ تداركوه، أو قُل احتاطوا له قبل ظهوره. كما فَعل أبو ذُؤيب الهذليّ، عندما سمع بِتعاتب مَعقل بن خُويلد؛ سيِّد القوم، وخالد بن زهير بن الحارث؛ ابن أُخته، إذ خشي أن يتفاقمَ الأمر؛ فأرسل إلى سيِّد القوم، ناصحاً مصلحاً : (من الطويل)

فَأبلِغْ لَديكَ؛ مَعقِلَ بنَ خُوَيلدٍ ... مَلائكَ، يُهدِيهَا إلَيكَ هُدَاتُهَا[106]
وقد عَلِمَ الأقوامُ، أنَّكَ سَيِّدٌ ... وأنَّكَ مِن دارِ شديدٍ حَصاتُهَا
ولا تُتْبِعِ الأفعى، يَديكَ، تَنوشُهَا ... ودَعْهَا، إذا ماغَيَّبَتهَا سَفاتُهَا
وأَطفئْ ولَاتُوقِدْ، ولاتَكُ مِحْضَأً ... لِنارِ العُداةِ، أنْ تَطيرَ شَكاتُهَا[107]
فإنَّ مِنَ القولِ، التي لاشَوى لِها ... إذا زَلَّ عَنْ ظَهرِ اللِّسانِ، انفِلاتُهَا[108]
ومَوقِعُهَا ضَخمٌ، إذا هي أُرسِلَتْ ... ولو كُفِتَتْ، كانتْ يَسيراً كِفاتُهَا[109]
فإنّكَ إنْ تَفعلْ، فإنَّكَ سالمٌ ... وإن تَفعلِ الأُخرى، تُصِبْكَ أذاتُهَا[110]

ينصحه بالتعقُّل والتدبُّر؛ فلربما يكون مَقتلُ الرجل؛ في كلمة ينطقها، فإذا ما كتمها سَلِم.. وإذا ما اتَّبع الإنسانُ سبيلَ الحكمة والموعظة الحسنة والمنطق السليم، يصل الى بَرِّ الأمان؛ **(وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)**.[111]

بعد هذه الجولة الشاملة في استقراء شعر الحياة الجاهلي – إذا صَحَّ التعبير – لاستخلاص الاتجاه السلمي عند العرب. شَخَصتْ زاويتا رصد رئيستان؛ يمكن وصفهما بالسلبية والايجابية. فأما الأولى؛ فتتمثلُ برفض الحرب والأسر والسبي، وتحريم سفك الدماء، ومهاجمة الغدر والغادرين، وتجريم خيانة العهد والأحلاف.. وتتمثلُ الثانية؛ بالإشادة بمنع الحرب وحقن الدماء، والفخر بفك الأسر والثناء على من يُطلق الأسرى أو يسعى في ذلك بكل السبل، وتوثيق العهود والمعاهدات، واستعراض حالات الرغبة عن المعارك وتركها، والهروب منها ومن الأسر، والتفاؤل بالسلامة وإقامة الصُّلح..

هاتان الزاويتان، تلتقيان في بُؤرةٍ مركزيّة جامعة؛ هي "حُبُّ الحياة"، والتشبث بها والحفاظ عليها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تحقيق هدف

مشترك وغاية سامية؛ هي بَثُّ التفاهم والانسجام وإشاعة الصفاء والوئام .. وصولاً إلى بَسط الأمن، وترسيخ السلام العام؛ في عموم المجتمع.

وإذا ما تَقرَّر أنَّ هذه الأُمور، أو المواقف والأحداث – التي ذكرها الشعراء- تنطلقُ بمجموعها، من "حُبِّ الحياة"؛ وتُزهِرُ هذه؛ فَتُثمِرُ حُبَّ الناس، أو بعبارة أكثرَ دِقَّة؛ تُثمرُ التَّحابُبَ فيما بينهم، وهذا يُنتجُ علاقاتٍ وثيقةً؛ من المودَّة والتآخي والتآلف والانسجام والتلاحم، فتصفو القلوب ويتسالم الجميع، فيأمن بعضهم بعضاً .. ويكون السلم الاجتماعي؛ قاعدةً لحياة رغيدة، وغطاءً لتعامل حَسَن. وبذلك يُحقِقُ السلامُ؛ المظهرَ الأبرز لمعنى الإنسانية.

المصادر

- **القرآن الكريم.**

- **أشعار العامريين الجاهليين**
جمعها ووثّقها وقدّم لها د.عبد الكريم إبراهيم يعقوب
دار الحِوار، دمشق، ط١ ١٩٨٢.

- **أشعار قبيلة ضبّة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين**
عبد اللطيف حمودي كاظم الطائيّ
أُطروحة دكتوراه، آداب الجامعة المستنصرية ،١٩٩٥.

- **الأصمعيّات**
الأصمعيّ أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك، ت٢١٦هـ
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون
دار المعارف، ط٤ ١٩٧٦.

- **الأغاني خمسة وعشرون جزءاً**
أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القُرشيّ الأُمويّ الأصفهانيّ، ت٣٥٦هـ
شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد الأمير علي مهنا والأستاذ سمير جابر
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ١٩٨٦.

- **أيّام العرب قبل الإسلام جزآن**
أبو عُبيدة مَعمر بن المُثنى التَّيمي، ت٢٠٩هـ
جمع وتحقيق ودراسة د.عادل جاسم البياتي
عالَم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت،ط١ ١٩٨٧.

- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**
أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبيّ النيسابوريّ، ت٤٢٩هـ
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم
دار نهضة، مصر للطبع والنشر، ١٩٦٥.

- **الحماسة**
أبو عُبادة الوليد بن عُبيد البحتريّ، ت٢٨٤هـ
نقله الأب لويس شيخو اليَسوعيّ
الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢ ١٩٦٧.

- **الحماسة البصريّة جزآن**

صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصريّ، ت٦٥٩هـ
تحقيق مختار الدين أحمد
عالَم الكتب، بيروت، ط٣ ١٩٨٣.

- **ديوان ابن مُقبِل**
عُني بتحقيقه د. عِزَّة حسن
وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، مطبعة الترقِّي، دمشق، ١٩٦٢.

- **ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس**
شرح وتعليق د.محمد محمد حسين
الناشر مكتبة الآداب، الجماميز، المطبعة النموذجية، الحِلمية الجديدة، ١٩٥٠.

- **ديوان أوس بن حَجَر**
تحقيق وشرح د.محمد يوسف نجم
دار صادر- دار بيروت، ١٩٦٠.

- **ديوان بِشر بن أبي خازم الأسديّ**
عُني بتحقيقه د.عزّة حسن
منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، مطبعة محمد هاشم، دمشق، ط٢ ١٩٧٣.

- **ديوان حاتِم الطائيّ**
تحقيق وشرح كَرَم البستانيّ
دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر،بيروت، ط٢ ١٩٨٢.

- **ديوان الحُطيأة**
رواية وشرح ابن السِّكِّيت، ت ٢٤٦هـ
تحقيق د.نعمان محمد أمين طه
الناشر مكتبة الخانجي، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ط١ ١٩٨٧.

- **ديوان زيد الخيل الطائيّ**
صنعة د.نوري حمودي القيسيّ
مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨.

- **ديوان سَلامة بن جَندل**
رواية الأصمعيّ وأبي عمرو الشَّيبانيّ
تحقيق د. فخر الدين قَباوة
نشر وتوزيع المكتبة العربية، حلب، ط١ ١٩٦٨.

- **ديوان شعر عَمرو بن كُلثوم التَّغلبيّ**
فريتس كرنكو
المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليَسوعيين، بيروت،١٩٢٢.

- **ديوان شعر المُثقِّب العبديّ**
عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصَّيرفيّ
الشركة المصريّة للطباعة والنشر، ١٩٧١.

- **ديوان طَرفَة بن العَبد**
شرح الأعلم الشَّنتَمريّ، ت ٤٧٦هـ
تحقيق دُريّة الخطيب ولطفي الصّقّال
مطبعة دار الكتاب، دمشق، ١٩٧٥.

- **ديوان عامر بن الطُّفَيل**
رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباريّ، عن أبي العباس ثعلب ت٢٩١هـ
كرم البستانيّ
دار صادر- دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٣.

- **ديوان عَديّ بن زيد العِباديّ**
حققه وجمعه محمد جبار المُعيبد
شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد،١٩٦٥.

- **ديوان عَلقَمة الفَحل**
شرح أبي الحجَّاج يوسف بن سليمان الأعلم الشَّنتَمريّ، ت ٤٧٦هـ
حققه لطفي الصَّقّال ودُريّة الخطيب، راجعه د.فخر الدين قَباوة
دار الكتاب العربيّ، مطبعة الأصيل، حلب، ط١ ١٩٧٠.

- **ديوان عَمرو بن مَعدِ يكرب الزُّبيديّ**
صنعة د.هاشم الطّعّان
وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة الجمهورية ، بغداد ١٩٧٠.

- **ديوان النابِغة الذُّبيانيّ**
جمع وتحقيق وشرح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
الشركة التونسيّة للتوزيع، ١٩٧٦.

- **روضة المحبِّين ونزهة المشتاقِين**
ابن قيم الجوزيّة، ت٧٥١ هـ
دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.

- **شرح أشعار الهُذَليين ثلاثة أجزاء**
صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكّري، ت٢٧٥هـ
حققه عبد الستار أحمد فَرّاج، راجعه محمود محمد شاكر
مكتبة دار العروبة، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٩٦٥.

- **شعر رَبيعة بن مَقروم الضَّبيّ**
صنعة د.نوري حمودي القيسيّ
مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٦٨.

- **شعر سُلَيم في عصر ما قبل الإسلام**
عبد الحسين حدّاد كنيهل
أُطروحة دكتوراه ،آداب جامعة بغداد، ١٩٨٩.

- **العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده جزآن**
أبو علي الحسن بن رَشيق القَيروانيّ الأسديّ، ت٤٥٦هـ
حققه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط٤ ١٩٧٢.

- **عِيار الشِّعر**
محمد بن أحمد بن طَبَاطَبا العَلويّ، ت٣٢٢هـ
تحقيق وتعليق د.محمد طه الحاجريّ ود. محمد زغلول سلام
المكتبة التجاريّة الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦.

- **الكامل في التاريخ عشرة مجلدات**
أبو الحسن عِزّ الدين عليّ بن أبي الكَرَم محمد بن محمد بن الأثير الشَّيبانيّ الجَزريّ، ت٦٣٠هـ
تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي
دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١ ١٩٨٧.

- **مالك ومُتمِّم ابنا نُويرة اليَربوعيّ**

د.ابتسام مرهون الصّفّار
مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨.

- **المُفضَّليَّات**
المُفضَّل بن محمد بن يعلي الضبيّ الكوفي، ت١٧٨هـ
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون
دار المعارف، مصر، ط٥ ١٩٧٦.

- **المُهلهِل بن رَبيعة التّغلبيّ حياته وشعره**
نافع منجل شاهين الرّاجحيّ
رسالة ماجستير، آداب الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦.

الهوامش

(١) الجذل: أصل الشجرة.
(٢) أسبأ للندمان: اشتري لهم الخمر.
المهلهل بن ربيعة التغلبي حياته وشعره، ص٣١٣-٣١٥.
(٣) الافنان: الاغصان؛ أراد: غارة مُتشعِّبة.
المهلهل بن ربيعة التغلبي حياته وشعره، ص٢٩٨.
(٤) ابو حمق؛ يعني: مسافع؛ المهجو، وحمُق، بضم الميم ضمةَ إتباع للضرورة.
(٥) أبيض: يُطلق على سلامة العِرض من النقائص؛ يعني:الحارث الغسّاني.
ديوان النابغة الذبياني، ص٢٤٦.
(٦) لبني حي: أهل الحيّ، إضافة بني إلى حي، إضافةً بيانية. قتاد: جبل لبني سُليم، قرب الحجاز. أو "هنا" بمعنى الواو.
(٧) أبقوا على الأصل: كفّوا عن قتال أقرباهم. علوا: غلبوا. على أنهم: مع أنهم. قدماً: من قبل. مباق: جمع مُبقٍ.
ديوان النابغة الذبياني، ص١٩١-١٩٢.
(٨) بنو علي: من قبيلة كِنانة.
أيام العرب قبل الاسلام، ٣٠٤/٢.
(٩) الحماسة، أبو عبادة الوليد بن عُبيد البحتري، ص١٣٨.
(١٠) هراق الماء يهريقه هراقةً: أراقه المحبر: الجديد المزخرف. والعرب تقول: دم فلان في ثوب فلان؛ إذا كان قاتله. يقول: صار الدم في ثيابك؛ ليس عند الآخرين.
(١١) ديوان أوس بن حجر، ص٤٧.
(١٢) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص٩٧.
(١٣) الغرب: الدلْو العظيمة؛ وأضافها للندى مجازاً.
(١٤) الدين: السلطان والملك. مهما تضع: مهما تسقط.
(١٥) ابن فرتنا؛ قد يعني شخصاً، وقد يكون نبزاً؛ سبَّ به شخصاً، ويُراد به: اللَّئيم. مشرقي؛ من الشِّرَق؛ وهو بالماء، كالغَصص بالطعام.
(١٦) يُتهم ويُنجد ويُعمن ويُعرق :يأتي تهامة ونجداً وعُمان والعراق. مستحقبي الحرب: حاملي عبئها؛ كأنه جمعه، وجعله من خلفه كالحقيبة.
الأصمعيات، ص١٦٦.
وينظر: حماسة البحتري، ص٢٢١-٢٢٢. والحماسة البصرية ، ١٢٦/١-١٢٧.
(١٧) هو؛ يزيد بن الخذّاق الشَّنّي العبدي.
(١٨) لحلل: قل إن شاء الله تعالى، بعد يمينك، وذلك أنه أقسم لَيأخذنَّ أموالهم؛ ويقسمها أخماساً، والخموس: جمع خُمس، لم يذكر في المعاجم.
المُفضَّليات، ص ٢٩٨.
(١٩) لخطة: قصة تكرهها. ذفيفاً؛ أي: يأتي عليك، من ذفَّف عليه: أجهز.
(٢٠) لا أبغينك.. أي: لا تحملني على أن أبغيك شراً. بعد النهى: بعد أن كان لك عقل. بعد الكرامة: بعد كرامتك عليّ. ظليفاً: غليظاً.
شرح أشعار الهذليين، ٢٩٩/١.

(١٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،١٦٧/٢.
(١٣) الشغب: (هنا) الفُرقة والخلاف.
(١٤) السُّراقة؛ اسم ما سُرق.
ديوان ابن مُقبل، ص٤١١-٤١٢.
(١٥) هذا عَجُزُ بيت – من البسيط – صدره: "كلُّ الحوادِثِ مَبداهَا مِنَ النَّظَرِ".
ذكرهُ ابنُ قَيِّم الجَوزيَّةُ، في: رَوضة المُحبين ونُزهة المُشتاقين، ص١١١.
(١٦) أشعار قبيلة ضبة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين، ص٢٣٩.
(١٧) خالد؛ هو: ابن العبد، أخو طرفة.
(١٨) ديوان طرفة بن العبد، ص٢٠٠.
(١٩) هو: أخو يزيد بن الخذّاق الشنيّ.
(٢٠) السدير: نهر بناحية الحِيرة، مشهور. غرير: الطيب الحسن من العيش.
(٢١) حفية: أجمة في سواد الكوفة، وهي مأسدة معروفة.
ديوان سلامة بن جندل، ص٢٤٠-٢٤١.
وينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ١٢٦/٢٠.
(٢٢) عدي القوم: حاملتهم الذين يعدون على أرحلهم. يسلبهم؛ لأنهم هربوا، فتتعلق ثيابهم بالشجر فيتركونها. الشاجنة: مسيل الماء إلى الوادي، وهي: شِعاب وطرُق؛ تكون فجوةً في الجبل، تتسع أحياناً، وتضيق أخرى، واحدها: شِعب. قال:لا يزال أحدهم يمُّر بالشجر فتمشقه، فتأخذ ثوبه.
(٢٣) كفت: شَّمرتُ ألوي:أرجع وأعطف شننت: أبغضتُ. يختطم: يُذَلّ ويُؤسر.
شرح أشعار الهذليين، ٤٦٠/١.
(٢٤) الصحم: حمار. عبشمي: من أسماء الحمار. مولي: مكان أصابه الوليُ، وهو: المطر بعد المطر. الرهام: المطر الغزير، واحدتها: رهمة.
شعر سُليم في عصر ما قبل الإسلام، ص١٤٨.
(٢٥) أجرتها؛ يعني: فرسه.
(٢٦) شعر سُليم في عصر ما قيل الإسلام، ص٢١٧.
(٢٧) تغاوث: تعاون، (هنا): يُغيثه. وظيف الساق: عظه.
(٢٨) حذوف: أتان صغيرة، يقال: تخذف بالحصا؛ إذا عَدَت.
شرح أشعار الهذليين،٤٦٤/١.
(٢٩) م.ن. ٢٤١/١.
(٣٠) كيمن: موضع باليمن. الكاسر: الذي يضم جناحيه؛ يريد الانحطاط إلى الصيد، يكون للمذكر والمؤنث.
المفضليات، ص١٦٥.
(٣١) لزدهى: أُستخَفُّ. قدد: خِرَق؛ قد تقدَّدتْ من شدة العدو.
(٣٢) مُجدية: مُغنية. ملتحد: مَنجى.
شرح أشعار الهذليين، ٣٣٨/١.
(٣٣) شعر سُليم في عصر ما قبل الإسلام، ص١٥١.

(٦٣) شرح أشعار الهذليين، ٨٠٩/٢.
(٦٤) هو؛ خُويلد بن مُرَّة القِردي الُهذَلي.
(٦٥) دراك الشد: مداركته؛ سرعته. قاظت أتتْ عليها قيظة؛ صيغة.
(٦٦) شرح أشعار الهذليين، ١٢٢٠/٣.
(٦٧) جبار بن سلمى بن عامر بن مالك بن جعفر؛ عامريٌّ، أيضاً.
(٦٨) أشعار العامريين الجاهليين، ص٧٠.
(٦٩) الخلة :الصداقة والصديق، للذكر والأنثى، والواحد والجميع. المولى: (هنا) ابن العمّ. قبال النعل: شِسْعُه؛ وهو: زِمام بين الإصبع الوسطى، والتي تليها.
(٧٠) ترديها: التردي فيها. وبالها: شدتها وثقلها.
ديوان الحطيأة، ص٢٢٧.
(٧١) صامة الشيء: ما يتمُّ به.
(٧٢) اليد: النعمة والإحسان والمنَّة والصنيعة، وإنما سميتْ يداً؛ لأنها إنما تكون بالإعطاء، والإعطاءُ إنالة باليد. الندى: السخاء والكرم والفضل. قروض: جمع قرض؛ ما يَتجازى به الناسُ بينهم، ويتقاضونه من إحسان ومن إساءة.
(٧٣) هبري: هزيل. مهيض: مكسور، بعد جَبر.
ديوان بشر بن أبي خازم الأسديّ، ص١٠٧-١٠٨.
(٧٤) ينظر: عِيار الشعر، ص٩١-٩٤.
(٧٥) أديت: أوصلتُ. يوم الثنية؛ من معاركهم.
(٧٦) السوام: ما رُعي من المال. تيمان: موضع. ناعم: مسرور، فرح بنجاته.
ديوان عامر بن الطفيل، ص١٢٤.
(٧٧) هو؛ ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة.
(٧٨) أيام العرب قبل الإسلام، ٦٠٤/٢.
(٧٩) القد: سير من الجلد غير المدبوغ، كان يُربط به الأسير. أظفاري؛ فاعل علقتْ.
(٨٠) العرف: ما استقرّ في النفوس، وقبلتْه الطباع.
ديوان الأعشى الكبير، ص١٧٩.
(٨١) كَنَدَ يَكْنُد كُنوداً: كفر بالنعمة وجحدها، فهو كَنودٌ وكنّاد، وهي: كَنُودٌ وكُنُد، يقال؛ للكَفور الجَحود.
(٨٢) الزناد: جمع زَنْد: ما يُقتدَح منه النار من الشجر. نماه: رفع إليه نَسَبه. بَذّ: سبق وغلب. السعود: جمع سَعْد، وهي: الليلة الطلقة الساكنة، وسعود النجوم؛ عشرة كواكب.
(٨٣) الحزم؛ في الرأي. الجود؛ في البذل والعطاء.
(٨٤) أبيت اللعن: أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة، ما تُلعن عليه. لكيز: قوم الشاعر، ينسبون الى لكيز بن أفصى بن عبد القيس.
(٨٥) نصبَ "مفككةً"؛ حالاً من الهاء والميم، وهو: المقيود. الرحال: جمع رَحل: مركب للبعير والناقة.
ديوان شعر المثقب العبدي، ص١٠٠-١١٦.
(٨٦) عدوا؛ من أخوات كان. فيهم ملوك وسوقة؛ في المجامع التي تجمع الملوك والرعية.

(٦٥) تلقهم: جزمه؛ ضرورةً شعرية، حَمَل "إذا" على "متى" الجازمة.
(٦٦) ابن سلمى: الحارث الغساني. شأتني: أخطأتني منيتي؛ إذ لم أكن في صفوف بني أسد. ليالي رجيت الفضول: أيام كنت عند الحارث؛ راجياً عطياته. وفعل رجا؛ واوي عند الجمهور، وقال الليث: رجيَ كرضيَ، وتبعه ابن سِيدة.
ديوان النابغة الذبياني، ص١٧٥-١٧٦.
(٦٧) الربوب: جمع رَبّ: المالك.
(٦٨) الربيب؛ بمعنى مفعول: مربوب: مملوك.
(٦٩) الحيّ: أقل من القبيلة. خبطت بنعمة: أنعمتَ وتفضَّلتَ، يقال: خبطه بخير:أعطاه من غير معرفة بينهما، وأصل الخبط: أن يضرب صاحبُ الماشية، الشجرَ بعصاً؛ ليتساقط ورقها؛ فترعاه الماشية. الذنوب: الدلو العظيمة، أو الملأى ماءً.
(٧٠) النائل: العطاء. عن؛ بمعنى: بعد. الجنيب والجنب: الغريب. الجنابة: الغربة.
ديوان علقمة الفحل، ص٣٦-٤٨.
(٧١) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ١٩٥/١.
(٧٢) ديوان حاتم الطائي، ص١٠١.
(٧٣) صُلموا: قُطعت آذانهم. جُدعوا: قُطعت أنوفهم.
ديوان حاتم الطائي، ص١٠١.
(٧٤) أشعار قبيلة ضبة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين، ص١٨٥.
وينظر: أيام العرب قبل الإسلام،٣٨٣/٢. ومالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي، ص٢١.
(٧٥) سورة الرحمن، ٦٠/٥٥.
(٧٦) القد: سيرٌ يقدُّ من الجلد، وُيقيَّد به الأسير. أراد به؛ القيدَ الذي فكَّه؛ بإطلاق سراح أخيه الأحمر. أبليتنا: أحسنتَ إلينا. صعصعا؛ منادى مرخم.
(٧٧) الأروع: الذي يروعُك جمالُه.
(٧٨) تثليث: من ديار بني تميم؛ وادٍ بنجد، بين نجران وجَرش. لعلع: ماء في البادية.
(٧٩) عدّينا: صرفنا. مئة معا: مئة من الإبل، تكون فدية لإطلاق أخيه.
ديوان سلامة بن جندل، ص٢٠٤-٢٠٥.
(٨٠) ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي، ص٤.
(٨١) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ص١٠٣.
(٨٢) ديوان الحطيأة، ص٣٠٢.
(٨٣) ينظر: الأغاني، ٥٥/١٦.
(٨٤) ديوان الحطيأة، ص٢٦٩.
(٨٥) يريد؛ غيرَك.
(٨٦) ينظر :ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ص٧٨.
(٨٧) هو: أبو دُريد؛ الشاعر المشهور.
(٨٨) بنو مالك بن عتاب: هم رهط عمرو بن كلثوم.
ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي، ص١٦.
(٨٩) أيام العرب قبل الإسلام، ٥٧٤/٢.

(١) الجزل المواهب: كثير العطايا.
(٢) السّيد: ابن مالك بن بكر.
(٣) الاحلمك.. أي: لم يَطش حلمك؛ فيوجد عليه منكود: نزر قليل.
شعر ربيعة بن مقروم الضبيّ، ص١٩-٢٠.
(٤) السوقة: دهماء الناس وعامتهم، قيل: لأن الملوك يسوقونهم، كما يشاؤون.
(٥) ديوان النابغة الذبياني، ص٩٢-٩٣.
(٦) الحريب: الذي سُلب ماله.
(٧) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص٤٠-٤١.
(٨) ديوان زيد الخيل الطائي، ص٦٤-٦٥.
(٩) والى فلانٌ فلاناً: إذا حاباه، وكان هواه معه، أو أعطاه مرةً بعد مرة.
(١٠) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، ص٢١٣-٢١٤.
(١١) البلاء: الاختبار، يكون بالخير والشر، ومنه :أبلى في الحرب بلاءً حسناً؛ أي: أظهر بأسَه، حتى خبره الناس.
ديوان الأعشى الكبير، ص١٢٧.
(١٢) أشعار قبيلة ضبة وأخبارها حتى نهاية عصر الراشدين، ص٢٣٩.
(١٣) اسلمه: مُنقذ الأسديّ.
(١٤) المفضليات، ص٤١-٤٢.
(١٥) ملائك: رسائل.
(١٦) المحضأ: العُود الذي تُقدح به النار. شكاتها: شِدَّتها.
(١٧) لاشوى لها؛ من قولهم: رمى الصيدَ فأشواه، إذا لم يُصِب مقتله. وأصل الشوى: القوائم. يقول: إنَّ من القول؛ كلمةً لا تُشوي، ولكن تقتل.
(١٨) كفتت: حُبستْ وقُبضتْ.
(١٩) شرح أشعار الهذليين، ٢٢١/١-٢٢٤.
(٢٠) سورة النساء، ١٢٨/٤.